يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى ومناراً كمنار الطريق)

(مصر — ١٦ ربيع الآخر سنة ١٣٢٢ — ٣٠ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٤)

باب السؤال والفتوى

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

(دعوى الشعراني انه أعطي ان يقول للشيء كن فيكون)
(أو دعوى الأولياء الألوهية)

(س ٣٤) الشيخ قاسم محمد غدير في (أسيوط): ما تقولون في معنى قول الشعراني مما منّ الله به عليّ أن أعطاني قول (كن) فلو قلت لجبل كن ذهبا لكان: الخ

(ج) إن الايجاد والتصرف في الأشياء بمقتضى الارادة المعبر عنها بكلمة (كن) هو خاص بخالق العالم ومدبره يستحيل ان يكون لغيره وما كان مستحيلا فلا تتعلق قدرة الله به فيقال بجواز اعطائه لغيره كما هو مقرر في علم الكلام فلا يقال ان الله تعالى قادر على ان يجعل معه الها آخر فان القدرة لا تتعلق الا بالممكنات وهذا محال ومن يعتقد ان احداً غير الله يفعل ماشاء ويوجد ويعدم ويقلب الاعيان بقول كن فلا شك في كفره الصريح وشركه القبيح . واذا أحسنا الظن بالشيخ الشعراني فانا نقول ان هذه الكلمة مدسوسة عليه فقد صرح هو في بعض كتبه كاليواقيت بانهم كانوا يدسون عليه في زمنه . على ان كتبه المشهورة المتداولة طافحة بالخرافات والدعاوي التي ينكرها الشرع والعقل وهي أضر على المسلمين من غيرها من الكتب الضارة المنسوبة الى المسلمين والى غير المسلمين . وقد كنت من أيام أجادل بعض البابية وأبين لهم فساد دينهم الجديد فقال أحدهم : ماتقول في الشعراني ؟ فعلمت انه يريد ان يحتج بما في بعض كتبه من ان المهدي يأتي عكا وما يقوله في « مأدبة الله بمرج عكا » فان البابية يحملون ذلك على البهاء الذي نشر دينه وهو في عكا ومات فيها فقلت له ان كلام الشعراني — أي الذي انفرد به — عندي كالتي اللقا لا قيمة له والكتب المنسوبة اليه هي العمدة في الاضلال المنتشر بين المصريين في الاولياء لا سيما في السيد البدوي فانها مرغبة في موالده التي هو قرارة المنكرات والمعاصي الخ

واني لأعلم انه لا يزال في قراء المنار على استنارتهم من يعظم عليه وقع الانكار على كتب الشعراني وان كان الغرض منه تنزيه الله تعالى فان الذين أشربت قلوبهم عقائد الوثنية يعظمون المشهورين من الذين يسمونهم أولياء أكثر مما يعظمون الله تعالى ويسرون أن يوصف أولياؤهم بصفات الألوهية ويرون من الضلال أو الكفر أن يقال انهم بشر لا يمتازون على غيرهم بما هو فوق خصائص البشرية . وان ما وفق له الصالحون من العمل الصالح فانما هو عمل كسبي يقدر غيرهم على الاتيان بمثله بهداية الله وتوفيقه . وإن الفتنة في الدعوى المسؤل عنها أكبر من الفتنة بكل كلام أهل الكفر والاضلال اذ لا يخشى من قول عابد الصنم : إن صنمي إله : أن يفتتن به المسلم كما يخشى على عامة المسلمين وكثير من المقلدين الذين يسمون علماء وخاصة من كلمة الشعراني لأن هؤلاء

يأخذون هذه الكلمة بالتسليم بناء على أنها من باب الكرامات التي ليس لها حد عندهم ومتى سلموا بها جزموا بأن مثل هذا الولي يفعل ما يشاء فيصرفون قلوبهم اليه ويطلبون حوائجهم منه فيكونون قد اتخذوه إلها باعتقادهم انه يقول للشيء كن فيكون وقد عبدوه بدعائه والاعتماد عليه وهم مع هذا كله يقفون أنفسهم بأنهم لا يسمونه الها وانما يسمونه وليا كأن الاسماء هي التي تميز الحقائق دون العقائد والاعمال القلبية والبدنية . وأني أذكرهم بان المشركين كانوا يسمون معبوداتهم أولياء ، ويعتقدون كما يعتقدون أنهم شفعاء ، قال تعالى « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » وقال انهم يعبدونهم « ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وقد بينا لهم الحق لم نخف فيه لومة لائم فليضربوا بكلام الشعراني عرض الحائط ان كان كل ما في كتبه كلاما أو ليحسنوا الظن به كما قلنا أولا ويحكموا بأن هذه الكتب مملوءة بالدسائس عليه ، فلا يعتمد عليها ولا تتخذ حجة عليه ، وهذا هو الاسلم فنبرئه ولا نبرئها ، وندعو له بالرحمة ونطرحها ، مكتفين بهدي الكتاب والسنة ، فمن تمسك بهما نجا ، وما تنكب عنهما هلك ، وأعلم أن اعظم ما يفش الناس بقبول كل ما ينسب للاولياء والصالحين أمران احدهما وقوع بعض الامور الغريبة على أيديهم أو في إثر الالتجاء اليهم وقد بينا طرق تأويل ذلك وكشف الحق فيه في مقالات الكرامات والخوارق من المجلد الماضي وسنزيدها بيانا ، وثانيهما تسليم بعض الشيوخ المعرفين بالعلم أو الصلاح بذلك

﴿واقعة غريبة في الموضوع﴾

رأى في هذه الايام رجل موحد صديقا له من القضاة الشرعيين في المسجد الحسيني يتضرع ويشكو لسيدنا الحسين عليه السلام ويطلب منه قضاء حاجاته من غير ان يذكرها بالتفصيل اكتفاء بأنه رضي الله عنه يعرفها لانه مطلع على أحوال العالم كله ولذلك كان يقول له في كلامه ما يقوله غيره من العامة : الشكوى لاهل البصيرة عيب : فقال له الموحد إن هذا الذي أنت فيه شرك بالله تعالى وان أحكامك الشرعية غير صحيحة مع اعتقادك وعملك هذا وبعد جدال اتفقا على ان يتحاكما الى عالم في الازهر هو من أشهر اهله في مصر بالعلم والصلاح ، فقصا عليه خبرهما وشرح له الموحد عقيدته . فسأله الشيخ عن استاذه الذي يحضر عليه ! فقال ليس لي استاذ وانما الكلام في العقائد لا في الاشخاص ، فسأل

القاضي عن صحة ما نسبه اليه فقال له نعم هذا الذي لقينا عليه مشايخنا ومنهم فلان الصالح الشهير . فقال الشيخ الموحد ان عقيدتك يابني هي الشرع اذ لا يوجد فيه شيء مما عليه الناس فاذا لم تعتقد بان أحدا من الاولياء يضر أو ينفع فان ذلك لا يضرك ولكن لا تقال فطعن فيهم اذ يخشى عليك حينئذ ولا يضرك أيضا ان تعتقد كما يعتقد القاضي فان بعض علمائنا الشافعية الذين لا نستطيع أن ننكر عليهم أو نشك في فضلهم قد أثبتوا للاولياء تصرفا ما فقال الموحد أن الامر في اعتقادي الفطري الذي ألقى الله عليه هو دائر في هذه المسألة بين التوحيد والشرك فانا اعتقد أنه لا ضار ولا نافع الا الله وان نبينا عليه الصلاة والسلام قد جاءنا بالهداية عن الله تعالى ولم يكن له من الامر شيء وانما عليه التبليغ وقد بلغ رسالة ربه « وانتهت مأموريته » فقبضه الله اليه . والقاضي يقول أن للاولياء الميتين ديوانا وأنهم هم المتصرفون في الكون فيكل مايجري فيه فانما يجري بتصرفهم ، وهذا نقيض اعتقادي ، فقال له الشيخ انك قلت أولا انك لقيت القاضي في المسجد الحسيني فماذا كنت تفعل هناك ؟ قال أزور سيدنا الحسين : قال ولما ذا ؟ قال لان زيارة القبور مسنونة للاعتبار ولأن سيدنا الحسين رجل عظيم من أولاد الرسول الذي جاءنا الهداية على لسانه بذل دمه في سبيل نصرة الدين وازالة الظلم فانا بزيارته ازداد اعتبارا وأدعوله بالرحمة اعترافا بفضله . قال الشيخ قلت لك ان اعتقادك شرعي ولكن لا تنكر على القاضي وغيره فان شيخنا فلانا كان يرسلني في أول حضوري عليه الى سيدنا الحسين في حال شدته (أو قال مرضه لا أدري) ويأمرني ان أقول له : العادة ياسيدنا الحسين : فيحصل له خير (أو قال غير ذلك النسيان مني) فانظر أيها القارئ تجد العالم يعترف بأن كذا هو الدين والشرع ثم يقر على مخالفته اعتمادا على أن بعض مشايخه المقلدين كانوا يقرون ذلك وهو يحسن الظن بهم وأعجب من هذا أن الناس الذين يسلمون بان امر الشعراني اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون لا ينافي الدين فلا يعترضون عليه بل يعترضون على ابن تيمية اذ يقول لا اله له التصرف الا الله ولا دين الا ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله . فهكذا يفعل التقليد لا يبقي عقيدة ولا دينا ، ولا حجة فيه الا الاذعان للاشخاص الذين لا عصمة لهم من الجهل ولا من الخطأ والاحكايات ووقائع غريبة ينقل مثلها عن جميع الملل . وكثيرا مايكون هؤلاء المعتقدون بتصرف الأموات من أهل العبادة

والزهد والاخلاص بحسب تقليدهم ولذلك يغش الآخرون بهم، وخاق الانسان ضعيفا »

إدخال السعدية الدبابيس في أشداقهم

(س ٣٥) ومنه : كنتم قلتم في تضارب السعدية بالسيوف ان ذلك لعبة عادية فما تقولون في ادخال الدبابيس في أشداقهم من غير ضرر

(ج) ان هذا كذلك ولايدخل منه شيء في الدين اذ الدين جد لاهو فيه ولا لعب ولايدخل هذه الاعمال في الدين الا ء الذين اتخذوا دينهم هزؤا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ء أما التعود على هذه الاشياء والحيل فيها فلا يعرفها الا من زاولها ومن المشعوذين في أوربا وغيرها من يفعل أعظم من ذلك

حروف الكتابة — احترامها

(س ٣٦) ومنه : هل كل مكتوب محترم لايجوز إلقاؤه أم ذلك خاص بما احتوى على لفظ شريف وهل غير العربي مثله في ذلك ؟

(ج) ذهب الشافعية الى أنه يجب احترام الاسماء المعظمة المكتوبة كأسماء الله وأنبيائه كاحترام كلام الله تعالى فلا يجوز أن تلقى حيث تداس مثلا أو أن يتعمد عدم الاكتراث بها أو الاهانة لها كما يقال ، وبالغ الحنفية فقالوا ان كل الحروف والكتابة محترمة بهذا المعنى . فاما كتابة نحو القرآن والاسماء المعظمة فان تعمد إهانتها يدل على عدم الايمان كما ينقل عن بعض الملحدين المشهورين في مسلمي مصر من انه أخذ ورقة من المصحف ولفها ووضعها في أذنه يخرج بها الوسخ منها فهذا لاشك في إلحاده وكفره . واما اهانة كلام الناس المكتوب فلا يتصور حدوثه من عاقل الا لسبب كاعتقاد أن الكلام ضار أو كتب بسوء النية وقصد الايذاء والدهان مثلا فمن قرأ جريدة ورأى فيها شيئا من مثل هذا فألقاها أو مزقها ورماها هل يقال انه عاص لله تعالى مرتكب لما حرمه ؟ كلا ان التحليل والتحريم بغير نقل صحيح أو دليل رجيح هو المحرم ولم نعرف دليلا في الكتاب ولا في السنة على أن القاء ورقة مكتوبة على الارض بقصد احتقار مبني على اعتقاد ضررها مثلا او بغير قصد ذلك كالاستغناء عنها وعدم الحاجة اليها من المحرمات التي يعذب الله فاعلها . وما عساه يقال في استنباط اللوازم البعيدة من : أن ذلك يستلزم احتقار الحروف واحتقار الحروف يستلزم احتقار ما يكتب

بها وما يكتب بها عام يشمل كتاب الله وأسماءه : فغير مسلم ويمكن ان يستنبط مثله فيمن يلقي قشور البطيخ والباذنجان ونحوها بان يقال ان هذه نعمة يمكن ان ينتفع بها الناس أو الدواب فيجب تعظيمها واحترامها وعدم احترامها يستلزم الكفر بالمنعم بها وما أشبه ذلك . وجملة القول في المسألة ان العاقل المكلف لايقصد بالقاء الورق المكتوب اهانته الا لنحو السبب الذي ذكرناه وهو لاشيء فيه بل العاقل لايحتقر شيئاً في الوجود لذاته أولانه وسيلة لشيء نافع او شريف فما قاله الشافعية هو الظاهر ولا ينبغي الغلو والتسطع فيه والله أعلم

الطلاق ـ اشتراط القصد فيه

(س ٣٧) ع . ص . بمصر (القاهرة) : كنت أتجاذب أطراف الحديث مع صديق لي في أمور دينية فتدرجنا الى موضوع الطلاق فاختلفنا فيه وكان رأيه أن الطلاق يقع لمجرد النطق باللفظ ولو لم يكن الطلاق مقصودا وأما انا فرأيت انه لايقع الطلاق الا بعد الاصرار عليه . فهل لكم ان تتفضلوا بنشر الحقيقة على صفحات منارکم الأغر فتنقذوا العالم الاسلامي من وهدة الاختلاف التي وقع فيها من كثرة التأويلات ويكون لكم علينا الفضل ومنا الشكر ومن الله الأجر :

(ج) الزواج عقدة محكمة توثق بين الزوجين بعقد مقصود مع العزم فمن المعقول أن لايحل الا بعزم وبذلك جاء الكتاب الحكيم قال تعالى « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » أي لاتعزموا عقد هذه العقدة الا في وقتها وهو انتهاء عدة المرأة والكلام في المعتدة . وقال تعالى « وان عزموا الطلاق » الخ أي إن صمموا عليه وقصدوه قصداً صحيحاً . والقاعدة عند الفقهاء في العقود أن العبرة بالمقاصد والمعاني ، لابالألفاظ والمباني ، وظاهر أن أعظم العقود وأهمها العقد الذي موضوعه الانسان من حيث يأتلف ويجتمع ويتوالد ويربي مثله فمثل هذا العقد يجب الحرص التام عليه لأن في حله خراب البيوت وتشتيت الشمل المجتمع وضياع تربية الأولاد وغير ذلك من المضار ولكن أكثر فقهاء المذاهب المشهورة ذهبوا الى أن عقدة النكاح تعقد بالهزل وتحل بالهزل حتى كأنها أهون من العقد على أحقر الماعون الذي اشترطوا فيه مع التعاطي الايجاب والقبول الدالين على القصد الصحيح

وحجتهم في حديث غريب كما قال الترمذي أخرجه أحمد وأصحاب السنن ماعدا النسائي من حديث أبي هريرة وهو « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة » وقد صححه الحاكم الذي كثيراً ماصحح الضعاف والموضوعات وفي إسناده عبدالرحمن بن حبيب بن (أزدك) قال النسائي فيه منكر الحديث ولذلك لم يخرج حديثه ولقد عرف النسائي رحمه الله تعالى من ابن (أزدك) هذا ماخفي على كثيرين ونحن نقدم جرح النسائي على توثيق غيره عملا بقاعدة تقديم الجرح على التعديل مع كون موضوع الحديث منكرا لمخالفته مادل عليه الكتاب من وجوب العزم في هذا الامر ومخالفته القياس في جميع العقود وهو ان تكون بقصد وارادة وان جعلها الحافظ حسنا . ولهذا لم يأخذ به مالك ولا أحمد — وهو أحد رواته — على اطلاقه بل اشترطا النية في لفظ الطلاق الصريح واشتراطه في الكناية أولى لاحتمالها معنيين . ومن العجائب ان بعض الفقهاء يقول أن النكاح لايقع من الهازل ولكن الطلاق يقع فهو يأخذ ببعض الحديث ويترك بعضا . وقد دعم بعضهم حديث ابن أزدك بحديث فضالة عند الطبراني « ثلاث لايجوز فيهن اللعب الطلاق والنكاح والعتق » وهو على ضعفه بابن لهيعة في سنده ينقض الأول لايدعمه لان عدم الجواز يستلزم الفساد لا الصحة كما يعرف من الأصول وجاء بلفظ آخر فيه انقطاع فلا يعول عليه ولا يحتج فيه . ثم ان مسائل العقود ومنها النكاح والطلاق كلها مشروعة لمصالح العباد ومنافعهم ، معقولة المعنى لهم وليس من مصلحة المرأة ولا الرجل ولا الأمة ان يفرق بين الزوجين بكلمة تبدر من غير قصد ولا ارادة لحل العقدة بل فيها من المفاسد والمضار مالا يخفى على عاقل فلا يليق بمحاسن الملة الحنيفية السمحة أن يكون فيها هذا الحرج العظيم . هذا وقد ورد في الأحاديث الموافقة لأصول الدين وسماحته مايدل على أن الخطأ والنسيان غير مؤاخذ به ومثلهما الاكراه وقد قال تعالى « لايؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان » أي توثيقها بالقصد والنية الصحيحة والطلاق من قبيل الأيمان والله أعلم وأحكم

﴿ رأي أمير المؤمنين علي «ض» واحتياطه في أكله ﴾

(س ٣٨) عبده افندي ناطق في (الاسكندرية) نذكر هذا السؤال بمعناه وهو أن صاحب مجلة الهلال قال في ترجمة سيدنا علي كرّم الله وجهه في الجزء

السادس (ص ٢٠٢ و ٢٠٣) انه كان ضعيف الرأي ولذلك فشل في مسألة الخلافة « وانه لم يكن يأكل طعاما لا يعرف صانعه وحامله فكان يحتم على جراب الدقيق الذي يأكل منه ويسأل مرة عن سبب ذلك فقال : لا أحب أن يدخل بطني الا ما أعلم : والظاهر أنه كان يفعل ذلك مخافة أن يغدر به أعداؤه فيميتوه مسموما » اه هذه عبارة الهلال وقد استبشعها السائل وكتب الينا اولا فأجبناه بكتاب خاص بأن ماذكره في الهلال حكاية فهو منقول فكتب يلح منفعلا بوجوب الجواب في المنار فنقول فيه

(ج) ان الامام علياً لم يكن يجهل من الرأي ما كان يشير به عليه بعض الذين ظنوا انه كان ضعيف الرأي كما يعلم من خبر المغيرة معه وانما كانت السياسة تقضي في عهده بأن يقر بعض العمال ذوي العصبية كمعاوية على اعمالهم مع اعتقاده بأنهم كانوا ظالمين ولكن وجد ان الدين كان اقوى عنده من دهاء السياسة حتى لا يستطيع ان يعمل ولا ان يقر الا مايعتقده حقاً وعدلا وهذا هو السبب الصحيح في فشله فقد كان الدين عنده امرا وجدانيا عقليا لا نظريا فقط وسبب ذلك انه تربى عليه عملا في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عبد الباقي

ربيب طه حبيب الله انت ومن * كان المربي له طه فقد برعا

واما مسألة الأكل فقد كان سببها الورع وما استظهره صاحب الهلال في غير محله فانه قياس على حال بعض الملوك الجبناء الظالمين الذين فتنوا بحب طول البقاء والنعيم والخوف من الرعية وما أبعد الفرق !! والمؤرخون كصاحب الهلال يأخذون الخبر على ظاهره ويستنبطون منه مايسبق الى خواطرهم بحسب معرفتهم وتأثير عصرهم. أما الاثر فقد رواه أبو نعيم في الحلية بسنده الى عبد الملك بن عمير قال حدثني رجل من ثقيف ان عليا استعمله على عكبرى قال ولم يكن السواد يسكنه المصلون وقال لي اذا كان الظهر فروح الي فرحت اليه فلم اجد عنده حاجبا يحجبني دونه فوجدته جالسا وعنده قدح وكوز من ماء فدعا بظبية (١) فقلت في نفسي لقد أمنني حين يخرج الى جوهرا ولا ادري ما فيها فاذا عليها خاتم فكسر الخاتم فاذا فيها سويق فأخرج منها فصب في

*(١) الظبية جراب صغير من جلد الظبية عليه الشعر

القدح فصب عليها ماء فشرب وسقاني فلم أصبر فقلت: يا امير المؤمنين اتصنع هذا بالعراق وطعام العراق اكثر من ذلك : قال « اما والله ما اختم عليه بخلا عليه ولكن أبتاع قدر ما يكفيني فأخاف ان يفنى فيوضع من غيره وانما حفظي لذلك واكره ان ادخل بطني إلا طيبا » : وأخرج ابو نعيم ايضا من طريق سفيان عن الاعمش قال : كان علي يغدي ويعشي (اى الناس) ويأكل هو من شيء يجيئه من المدينة : وذكر الاثر الاول من غير حكاية الراوي صاحب القوت و الغزالي في كتاب الحلال والحرام من (الاحياء) واتفقوا على انه من الورع والواقعة صريحة فيه وهكذا كانت سيرة المتقين من الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة والتابعين

روى البخاري من حديث عائشة قالت : كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام أتدري ماهذا قال وماهو ؟ قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية فأعطاني . فأدخل اصبعه في فيه وجعل يقيء حتى ظننت ان نفسه ستخرج وقال : اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء :

وروى ابو نعيم في الحلية بسنده الى زيد بن ارقم قال كان لابي بكر مملوك يغل عليه فأتاه يوما بطعام فتناول منه لقمة فقال له المملوك : مالك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة : قال : « حملني على ذلك الجوع من اين جئت بهذا؟ قال مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني فلما كان اليوم مررت بهم فأعطوني . قال: أفي لك كدت ان تهلكني » فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعل لا يخرج . فقيل له ان هذه لا تخرج الا بالماء فدعا بعس من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها . فقيل له : رحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة قال: لو لم تخرج الا مع نفسي لأخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » فخشيت ان ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة : ورواه غيره . وروى مالك من طريق زيد بن اسلم قال شرب عمر لبنا فأعجبه فسأل الذي سقاه : من اين لك هذا اللبن ؟ فأخبره انه ورد على ماء قد سماه فاذا نعم من نعم الصدقة وهم يسقون فحلبوا لي من ألبانها فجعلته في سقائي فهو هذا : فأدخل عمر يده فاستقاءه : هذا بعض شأنهم في الورع والاحتياط في المأكل ولم يكن

عهد ابي بكر وعمر كعهد علي في تهاون الناس بالحلال والحرام ولذلك بالغ هو في الاحتياط في سفره . وحاشا ان يمس الخوف من السم ذلك القلب المملوء ايمانا وشجاعة

تركة ووصيتان

(س ٤٠) السيد حسن بن علوي بن شهاب الدين في (سنغافوره)

ماقولكم فيمن اوصى بما نصه : ومايزيد من تركتي بعد ماذكر اعلاه (يعني من دينه) يقسم اثلاثا ثلثان للورثة يقسم بينهم والثلث الثالث يقسم عشرين سهما اه وعين مصرف العشرين السهم ثم قال في وصية له اخرى مانصه : وجعل لاولاد اخيه احمد مثل نصيب احد اولاده الذكور والوصية المتقدمة باقية على صحتها اه : اما الوصيتان فمعلوم صحتهما والورثة ام وزوجة وستة اولاد وثلاث بنات ولايخفاكم انه مات قبل الاستحقاق فريق له ثلاثة اسهم ونصف سهم من العشرين السهم قبل موت الموصي فهل بسقوط هذه الاسهم تعود هذه الاسهم تركة ام يوزع مابقي على مابقي من الاسهم وتعود وصية وعلى كلا التقديرين كيف تكون قسمة التركة وكيف تصحيح المسئلة لان بعض العلماء يزيد ذلك المثل اولا في تصحيح المسئلة ويزيد مثله للموصى له ثم ثلث المال في واقعة الحال شيء كثير فلو كان ثلث مثلا الفا ومقدار مثل نصيب احد الاولاد سبعمائة فهل يأخذ الموصى له بمثل النصيب نصيبه كاملا ام يدخل النقص على الجميع وفي مسئلتنا هذه هل يشاركهم في الزائد وهي الثلاثة الاسهم والنصف السهم الذي مات مستحقوه قبل الاستحقاق نومل من شيم الكرام الجواب على صفحات المنار مع التوضيح الكامل فالمسئلة واقعة حال ودمتم

(ج) نقول اولا ان السائل كتب حاشية للسؤال ذكر فيها اختلاف اهل العلم في المسألة وان كلام ابن حجر اختلف فيها فظننا انها ذكرت في فتاويه بنصها فأرجأنا الجواب لمراجعة كلام ابن حجر اذ ليس عندنا فتاواه ولا تحفته ثم رأينا ان نعطي السؤال لاحد اصدقائنا من علماء الشافعية في الازهر ففعلنا وجاءنا منه مايلي بنصه :

الحمد لله اما بعد فهاتان وصيتان على الترتيب — الاولى بالثلث وجعله عشرين سهما فلتكن التركة ستين سهما — والثانية بمثل نصيب ذكر من اولاده . وحيث قدمت اصحاب ثلاثة اسهم ونصف من العشرين قبل موت الموصي فتلك الحصة تعود تركة فتكون الوصية الأولى بستة عشر سهما ونصفا من ستين ، وتكون التركة التي فيها الوصية الثانية

ثلاثة واربعين سهما ونصفا ، تقسم كلها على الورثة لاغير وهم ام وزوجة وستة ذكور وثلاث بنات ـــ ومسألتهم من اربعة وعشرين وتصح من ثمانية واربعين ونزيد الآن الثاني لانه اسهل حسابا فلنعتبر ان الثلاثة والاربعين سهما ونصفا ثمانية واربعين سهما للزوجة الثمن بستة وللأم السدس بثمانية فهذه أربعة عشر يبقى اربعة وثلاثون لستة ذكور وثلاث بنات فتكون القسمة على خمسة عشر باعتبار البنات فلا تقسم الاربعة والثلاثون سهما عليهم صحيحة فتضرب في خمسة عشر فيكون حاصل الضرب خمسمائة وعشرة يقسم ذلك الحاصل على خمسة عشر فتكون حصة البنت اربعة وثلاثين وحصة الذكر ثمانية وستين ثم تحول حصة الزوجة والام الى اسهم كهذه فتضرب اربعة عشر في خمسة عشر فيبلغ مأتين وعشرة تضم الى خمسمائة وعشرة حصة بقية الورثة فتكون التركة التي كانت ثلاثة واربعين سهما ونصفا سبعمائة وعشرين سهما حصة جميع الورثة فقد صحت المسألة على ذلك وزاد عليه مثل نصيب ذكر وهو ثمانية وستون فتبلغ سبعمائة وثمانية وثمانين سهما فاذا قسمت الثلاثة والاربعون سهما ونصف سهم الى سبعمائة وثمانية وثمانين اعطيت الزوجة تسعين والام مائة وعشرين وبقية الورثة خمسمائة وعشرة للذكر مثل حظ الانثيين ، وكان لاولاد الاخ ثمانية وستين على سبيل الوصية وهي الوصية الثانية ، منها أربعة اسهم وستة وعشرون جزءا من ثلاثة واربعين ونصف زائدة على الثلث فهي موقوفة على اجازة الورثة ، وبيان كون هذا المقدار هو الزائد على الثلث انه اذا كانت الثلاثة واربعون سهما ونصف سبعمائة وثمانية وثمانين فلتكن الوصية الاولى التي هي ستة عشر سهما ونصف مائتين وثمانية وتسعين سهما وتسعة وثلاثين جزءا من ثلاثة واربعين ونصف حيث تضرب ستة عشر ونصفا في خمسة عشر فليكن المال كذلك قبل الوصيتين الفا وستة وثمانين سهما وتسعة وثلاثين جزءا من ثلاثة واربعين ونصف وليكن ثلثه ثلاثمائة واثنين وستين سهما وثلاثة عشر جزءا من ثلاثة واربعين ونصف ، وحيث ان الوصيتين على الترتيب فتنفذ الاولى كلها وهي مائتان وثمانية وتسعين سهما وتسعة وثلاثون جزءا من ثلاثة واربعين ونصف ولتنفذ الثانية لاولاد الاخ فيما تمم الثلث . والذي يتمه ثلاثة وستون سهما وسبعة عشر جزءا ونصف من ثلاثة واربعين ونصف مع ان حصة الذكر ثمانية وستون فيكون الزائد عن الثلث اربعة اسهم وستة وعشرين جزءا من ثلاثة واربعين ونصف فيحتاج الى اذن الورثة

والحاصل ان التركة بحسب الاصل ستون سهما منها عشرون للوصية الاولى رجع منها ثلاثة ونصف للتركة فتكون التركة ثلاثة واربعين سهما ونصفا يأخذ منها اولاد الاخ ثلاثة ونصفا تتمة الثلث ويبقى بعد الثلاثة ونصف شيء تتم حصة الذكر فيحتاج الى اذن الورثة فان اجازوا نفذ والا فلا نفوذ ؛ واذا اجازوا فلتكن القسمة على ما بينا ، بحيث تصحح مسألة الورثة اولا ثم يزاد على اصل المسألة مقدار ما يخص الذكر ثم يقسم بعد ذلك على الورثة وفيهم صاحب الوصية الثانية ولا يخفى ان تلك الزيادة هي مسألة العول الذي يدخل على جميع الانصباء .

وليس في هذه الواقعة خلاف ما قررناه والله اعلم حسين والي

﴿ هذا أوان العبر ﴾

فهل نحن أحياء فنعتبر

وبالجملة فقدها كل فنون المدنية الفائقة التي سادت بها الدول المسيحية وسعدت الأمم الغربية واليك البيان نشر أحد كتاب العثمانيين في العدد ٣٢ من جريدة (ترك) المؤرخة ٢٥ ربيع أول سنة ١٣٢٢ الصادرة في مصر مقالة تستثير كوامن الشجون خلاصتها انه رأى في جرائد الاستانة كلاما طويلا عن مرور منير باشا سفير الدولة العثمانية في باريس على صوفيا عاصمة البلغار لاجل دعوة أميرها الى زيارة الاستانة وقال انما استوقف خاطره من ذلك الكلام الطويل جملة واحدة وهي قول تلك الجرائد ان في جملة ما زاره السفير من المعاهد في تلك العاصمة (التي كانت تسمى في عهد استيلاء الترك عليها مركز ولاية الطونة) معرض النباتات والحيوانات والتحف وهي العاصمة التي كانت منذ خمس وعشرين سنة كبقية عواصم ولايات الدولة في أوربا مثل يانيا وأدرنه ومناستر قذرة الشوارع والطرقات ضيقها محرومة من عناية المجالس البلدية كل شيء فيها مهجور ماعدا الجوس والمعابد والقشل (التكنات) فصارت تلك العاصمة في زمن قليل أي منذ استقلت عن الدولة في حالة من الترقي يكاد من رآها يجهل انها مدينة صوفية القديمة لما صار فيها من الشوارع العريضة المنظمة والميادين الفسيحة والملاعب (التياترات) والمتنزهات والترامواي الكهربائي والتلفون وليست مدينة صوفيا وحدها التي ترقت الى هذه المرتبة من المدنية الاوربية بل كل حواضر البلاد

التي دخلت تحت حكم البلغار كفلبه ووارنه وغيرهما ولم ينحصر هذا الترقي بالبلغار بل شمل الصرب ورومانيا واليونان وهي الممالك التي انفصلت عن الدولة العثمانية واستفاض فيها نور التمدن استفاضته في البلغار وستتبعها كريد أيضا التي انفصلت بالامس عنا واما الممالك التابعة لنا فانها فضلا عن ان تترقى في فنون المدنية آخذة يوما عن يوم بالتقهقر والخراب واليك مدن أدرنه وبروسه وحلب والشام وبغداد اللائي كن عواصم كبرى للملك من أزمنة متفاوتة لم يستطعن المحافظة على عمرانهن المتخلف من ذلك الزمان : الى ان قال : وبغض النظر عن حاجة ولاياتنا الى أسباب العمران فانا اذا نظرنا الى القسطنطينية تلك المدينة الكبرى التي يسكنها مليون من النفوس والتي هي ذات استعداد وقابلية لان تكون عاصمة العالم أجمع نرى ان ابنيتها أدنى من ابنية قرية من قرى الممالك المتمدنة وطرقها وميادينها مملوءة بالاوحال شتاء وهي قرارة الاقذار صيفاً : ثم استرسل الكاتب في هذا الباب بما يدمي القلوب ويشجي النفوس وذكر من حال عاصمتنا الكبرى وتدنيها العظيم وعدم مجاراتها حتى للبلدان التي انفصلت عنها بالامس وفقدانها كل وسائل الراحة وأسباب العمران مالم نر لايراده حاجة خشية التطويل. واذكر أيضا مثل هذا الشاهد وقد نشرته من بضع عشرة سنة جريدة الاهرام التي تطبع في مصر وخلاصته ان صاحب الجريدة اجتمع في مدينة صوفيا يومئذ مع أحد كتاب الجرائد الهندية الاسلامية وجرت بينهما محادثة مما جاء فيها قول ذلك الكاتب : ان من يرى امارة البلغار يكذب التاريخ وذلك لانه لايصدق انفصال هذه الامارة عن الدولة العثمانية منذ عشرين سنة وسبقها لأمها عاصمة الدولة هذا السبق البعيد في كل ضروب المدنية والترقي في ذلك الزمن القليل :

وأنت ترى من هذا الشاهد ومما سبقه وهما من أقوال كتاب المسلمين أنفسهم كيف ان الشعوب الأخرى تسرع بالترقي والمسلمون يتخلفون وكيف هو حال الممالك الاسلامية بالنسبة لحال الممالك المتمدنة على ان ماذكرنا مختص بالمملكة العثمانية دون الممالك الاسلامية الاخرى مع ان هذه المملكة هي أرقى حالا بكثير من بقية الممالك الاسلامية من حيث الترقي المدني في المعارف الضرورية لقيام الدولة العثمانية على أمر التعليم قياماً وان كان في نفسه غير موف بالحاجة الا انه لايخلو من شيء من

الفائدة وأخصها فائدة المدارس الحربية التي جعلت لهذه الدولة جيشا منظما بلغ الغاية من الترقي لولم يصحبه ضعف السياسة والمال بل ضعف اساس الحكومة لانها حكومة اسلامية

هذا حال هذه المملكة وهي على ظننا أرقى من غيرها بكثير فما بالك بمملكة المغرب الاقصى وفارس والافغان وحال الاولى من الفوضى والتردي في الجهالة والامعان في طرق التدلي معلوم فهذه المملكة التي ليس بينها وبين أوربا بلاد المدنية والترقي الا مضيق سبتة لم تنتفع من هذا الجوار بشيء البتة ولم ينفذ اليها على قربها من أوربا شعاع من نور المدنية الجديدة والحياة السعيدة مع ان ذلك النور عم أفق اليابان في الشرق الاقصى وبينها وبين منبعثه آلاف من الاميال فليس في المغرب الاقصى الآن أثر للتعليم على الاصول الجديدة ولا اسم للحكومة المنظمة ولا قوة للملك ولا جند منظم للدولة ولا معرفة لاهلها بأحوال العالم قط وحسبك من امعانهم في الجهالة ان المطابع التي كانت سببا متينا من أسباب انتشار العلم بين الامم لم يبق بقعة من بقع الارض حتى مجاهل أفريقيا الا وجدت فيها وأهالي المغرب الاقصى لم يعنوا بها ولم تنتشر في بلادهم الى اليوم

جاء الى مصر في هذه الآونة السيد المنبهي وزير الحربية السابق في المغرب الاقصى بقصد أداء فريضة الحج فاستطلعته طلع الدول والبلاد وبسطت لديه بعض أمانيّ في اصلاح المملكة فاخبرني ان المسلمين ثمة يأبون كل اصلاح وليس عندهم استعداد لقبول أي ضرب من ضروب الترقي والمدنية ولما أوضحت لديه أهون السبل للوصول الى تقويم أود الامة والدولة أظهر من خشونة المركب وشدة الاواء على إمكان العمل في بلاد ذلك مكانها من عدم الاستعداد للاصلاح في التعليم والادارة والقضاء والجندية ما يظهر من كل كبير وأمير في المسلمين اذا شكوت اليه ضعف أمته وتقهقر أهل ملته حتى كأن العجز عن النهوض أصبح من العاهات السائدة على قادة المسلمين وخاصتهم كما هو آخذ بنواصي عامتهم متسلط على نفوس كافتهم

هذا اجمال حال مملكة المغرب الاقصى واما مملكة فارس فحسبك أن تقول ان تلك الامة على عراقتها في المجد وقدم عهدها في الدولة وانها من الممالك القديمة التي كانت

ذات مدنية راقية وملك عظيم أصبحت الآن في حالة من الضعف وسوء الادارة والتدلي عن مرتبة العلم والمدنية بحيث لا ترى لها حركة تدل على شيء من الرقي المطلوب لمثلها هذا مع أنّ مليكها السابق والحالي جابا اطراف البلاد الاوربية ووقفا على كل فنون المدنية الحاضرة وعلما بانفسهما وجه ترقي الأمم المسيحية ومع هذا فلم يغن ذلك عن تقهقر بلادهما وتدلي الامة الاسلامية فيها شيئا فليس في البلاد الفارسية من المدارس الا ما لا يجاوز عدد الانامل وليس للدولة نظام للاجندية ولو كنظام الجندية العثمانية وليس لثغورها التي أضحت مطمح الدول الغربية ولا باخرة حربية وبالجملة فسكون التناهي في الانحطاط سائد هناك كما هو سائد في بقية البلاد الاسلامية

واما الامة الافغانية فهي الى البداوة في كل أصول معيشتها ومعارفها أقرب منها الى الحضارة وليس فيها من دلائل الحياة الا قيام أميرها المتوفى وأميرها الحالي على ترتيب الجند وتدريبه على الحرب وجمع كلمة القبائل والاحزاب على الذود عن حياض الملك

فهذا بوجه الاجمال حال المسلمين في هذا العصر وحال دولهم المستقلة لهذا العهد أفليس مما يكلم القلوب ويدمي الاحشاء ان لا يكون فيهم ولو دولة واحدة تضاهي أصغر الامارات المسيحية في التقدم والارتقاء كامارة البلغار أو الصرب أو رومانيا اللاتي انفصلن بالامس عن الدولة الاسلامية الكبرى فسبقنها سبقا بعيداً وصرن لها خصما عنيداً ؟

وماهي يا ترى علة هذا الخمود القاتل والجمود الشامل الذي تعبد المسلمين وقطع نظامهم وجعلهم يتكعون في أخريات الامم حتى سبقهم المسيحيون والوثنيون واستعبدهم منازعوهم على الملك وغلب على أمرهم مزاحموهم في مضمار الحياة في كل بقعة من بقاع الارض ؟ ألأنهم دون اولئك السابقين خلقاً ؟ أولانهم أضعف منهم استعداداً ؟ كلا إن الاستعداد والخلق في أبناء الطينة الواحدة لا يختلفان الا بالاعراض لا بالجواهر . أو لمطلق كونهم مسلمين وان الاسلام مانع من المدنية كما يقول أعداؤه والمارقون منه

هذه هي العقدة التي أصبحت مزدحم الافكار ومرمى نظر الباحثين في طبائع الامم في هذا العصر وانما قال بعضهم ان الدين هو المانع من ترقي المسلمين لانهم لم يروا شعبا واحدا منهم نهض لمجاراة الامم المتمدنة واستحق ان يوضع في مصاف الشعوب الراقية حكومة ومدنية . بل كل المسلمين في هذا التأخر سواء . وان تفاوتوا

في المراتب بتفاوت الارجاء، مع ان مجاوريهم من المسيحيين أصبحوا منذ انفصلوا عنهم في اسمى درجات الارتقاء، وكذلك أبناء طينتهم الشرقية من اتباع كونفيوشيوس وبوذه وهم اليابانيون صاروا في مصاف الامم الراقية ودولتهم تعد من دول المشرق العظمى مع انهم لم يدخلوا في غمار هذا الترقي الجديد الا منذ ثلاثين سنة

الذين قالوا ان علة تدلي المسلمين هو الدين بعضهم يقول ان مصدر هذه العلة تعدد الزوجات لانه يهدم نظام البيوت ويفقد أصول التربية ويزج بالنفوس في غمار الشهوات : وبعضهم يقول ان مصدرها عقيدة القدر التي تقعد بالنفوس عن السعي وتستأصل شأفة الاعتماد على النفس : وبعضهم يقول ان مصدرها الاعتقاد بالاموات الذين يستعينهم بالاولياء والصالحين ويعتمد عليهم عامة المسلمين في قضاء الحاجات دون الاعتماد على تعاطي الاسباب الموصلة للحاجات : الى غير ذلك من العلل التي اذا محصها العقل يجدها بعيدة عن غرض الاسلام أدخلها في العقائد والاعمال سوء الفهم وهي وان صلحت لان تكون سببا لتدلي المسلمين الا انها لا تصلح ان تكون برهاناً على ان الاسلام هو المانع من ترقي المسلمين بل المانع في معتقدي أمر آخر أريد وضعه لدى الباحثين في موضع النظر والنقد فاقول :

الاسلام من حيث هو دين سماوي لا يراد به الا سعادة البشر وخيرهم لا يسوغ لعاقل ان يقول انه يمنع المتدينين به من مثل هذه السعادة التي أرادها الله لعباده بواسطة الاديان وانما هي الافهام تختلف في معرفة مغزى الدين باختلاف الامم والعصور وتتباين بتباين العقول . فالاسلام أول من تلقاه من الامم كما هو معروف الامة العربية التي كانت متردية في الضلالة متهافتة في البداوة ليس عندها شيء من قوانين الاجتماع ونظام الحكومات راقية والشعوب المتمدنة فلما جاءها الاسلام باحكامه ومواعظه واوامره ونواهيه رأى العرب فيه مقصدا قريبا وأمراً جليلا وحكمة بالغة فانضموا اليه وأقبلوا عليه وقالوا هذا هو الشيء الذي هو كل شيء وغلوا في ذلك الاعتقاد غلوا أذهلهم عن أن الغرور في الدين الى حد ما وجه بكل شيء من أمور الحياة الدنيوية وأخصها حياة الأمم السياسية خروج بالدين عن مقاصده الاصلية وافتئات على صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم القائل (اذا كان شيء من أمر دينكم فالي . واذا كان

شيء من أمر دنياكم فانتم أعلم به » :(١) وهو إرشاد صريح الى أن للدنيا أموراً مرجعها تحكيم المصلحة والعقل فهي في جانب والدين في جانب آخر

العرب كما قلنا كانوا عريقين في البداوة وحياة البداوة قاصرة على أمس الحاجات الحيوية فلم ينظروا إلى ما بعد تلك الحاجات فهان عليهم مزج الدنيا بالدين فلم يجعلوا الدين غير الدنيا كما أمرهم الشارع ولم يقفوا على سر التفريق بين الامرين الا أفراداً منهم عمر ابن الخطاب (رض) الذي كان يعلم أن المصلحة تحول بتحول الزمان وتدور معه كيفما دار (٢) لهذا فات العرب في مبدأ نشوء الدولة وظهور الامة تحكيم العقل في كثير من أمور الأمة الدنيوية ومصالحها الاجتماعية وحكموا الدين في كل شيء حتى ما لا علاقة له بالدين وهو ما لا نريد الخوض فيه الآن حتى توهم من أتى بعدهم أن سنة الأولين هي عين الدين

وأهم الامور التي حكموا فيها الدين فكان لها أقبح الأثر في حياة الامة الاسلامية وهي على ما اعتقد سبب كل ما يعانيه المسلمون من ضروب الشقاء الى هذا اليوم انما هي الحياة السياسية أو أمر السياسة والملك. الامم كما هو الثابت انما تقوم بالحكومات والحكومة اذا لم تكن ذات روابط قانونية تراعى فيها حالة كل زمان وقوم وتسير مع ترقي الامم كيفما سار فلا حياة للامة بها . مثاله ان الحكومة المطلقة اذا وافقت عصراً وقوما لا توافق عصراً وقوما آخرين وبالعكس ربما كانت الحكومة المطلقة في قوم أصلح منها في عصر لقوم آخرين فلا بد اذن من ترك شأن الحكومة لمطلق المناسبات الطبيعية في كل قوم وعصر والعرب لما لم يكن لهم تاريخ لكيفية قيام الدول وتنظيم أصول الحكومات ولا أصل يرجعون اليه في ذلك كالامم المتمدنة في ذلك العصر أهملوا مسألة الخلافة وتأسيس قواعد الملك بالدين فكان اول نزاع وقع على الخلافة قائما بالدين وتلاه فتنة عثمان (رض) فبنوها على الدين ثم الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فكان يحتج كل فريق من المتخاصمين على الآخر بالدين ثم قام النزاع بين بني هاشم وبني

(١) ـ رواه احمد ومسلم وابن ماجه عن أنس (٢) يدلك على ذلك حكمه في بعض المسائل على مقتضى المصلحة مع مخالفته في ذلك لما ورد في السنة كحكمه في مسألة الطلاق والنفقة

أمية باسم الدين ثم بين بني هاشم وبني العباس كذلك باسم الدين . وأغرب من ذلك ان الخوارج الذين قالوا في مبدأ أمرهم بعدم لزوم الخلافة وبنسف قواعدها نسفا لم يخطر لهم على بالهم تحويل طرز الحكومة الى أصول نافعة كالاصول الجمهورية مثلا حتى اضطروا للرجوع الى رسومها التي ألصقت بالدين وولوا منهم امراء استحلوا دماءهم وأشياعهم حتى دماء الاطفال والنساء بالدين وناصبوا الخلفاء العداوة وأصلوا الامة حروبا عوانا مبدأها سياسي وهو عدم الرضى عن حكومة الخلفاء الا انها انتهت الى الانتحال في الدين. ولم يعرف الخوارج طريق المضي في وجهتهم السياسية وبناء مذهبهم على اساس معقول اذ ليس للعرب تاريخ في ترتيب الحكومات يرجعون اليه وكانت نتيجة ذلك كله استئثار الخلفاء بكل وظائف الدولة كالوزارة والقضاء والحرب وبيت المال وغير ذلك من ضروب الاستئثار بالسلطة الذي لا ينتظم به شأن دولة فطرد ذهول الامة الاسلامية في ذلك المترك القائم باسم الدين عن النظر فيما يوافق مصلحتها السياسية من جهة ترتيب الدولة على طرز يضمن سعادة المسلمين لا مصلحة القائمين بتلك الدعوة الدينية

فالعرب مع إغراقهم في الحرية وعدم استكانتهم لاستبداد الخلفاء في مبدأ الامر فاتهم ان يجاروا في وضع قواعد الدولة وتأسيس أصول الحكومات ذات الصبغة الدستورية كالجمهورية والفضلية والحكومة المعتدلة أقرب الامم جوارا لهم يومئذ وهم الرومان واستمروا راضخين لحكم التغلب باسم الدين ولما انصبغت دولتهم بالصبغة الاعجمية وأخذوا عن الفرس والروم ما أخذوه من ضروب المدنية وأصبحوا في حاجة الى حكومة أرقى تنزع بها يد الخليفة من القبض على كل شؤون الدولة بيده القاهرة وتوزع الوظائف على المقتدرين على القيام باعبائها لم يتمكنوا من تغيير طرز الحكومة والنظر في مستقبل حياتهم السياسية لانها صارت حياة دينية هذا مع إغفال الخلفاء في الظلم واستئثارهم بالسلطة فاضطروا العلماء الى وضع قوانين خاصة برسوم الخلافة ووظائفها كقوانين الوزارة والقضاء وأشباهها لتغل يد الخلفاء عن الاستبداد مع تحري اسنادها الى الدين تبعاً لصبغة الحكومة الدينية ولكن لم تكن تلك القوانين في نظر الحكومة يومئذ الا شيئا تعبديا لاسنادها الى الدين والتعبد أمر وجداني لا يكون الا من أخلص لله حق الاخلاص وليس وراءه من قوة الاكراه ما يدعو الى العمل

به قسراً كما يكون ذلك في الحكومات الديمقراطية التي لاتوكل الى سيطرة الوجدان بل الى سيطرة القوة ومن ثم تفاقم الفساد في جسم الحكومات الاسلامية ورضخ لها المسلمون بحكم الدين وباستدراج الوضاعين بمثل قولهم (أدوا للائمة حقوقهم وسلوا الله حقوقكم) حتى صاروا لايعرفون أصلا من أصول الحكومات العادلة ولامخرجا من ضيق الاستبداد وتأصل فيهم روح الخضوع المطلق والطاعة العمياء وناهيك بمثل هذا الروح الذي يسلب الانسان قوة الارادة ويضمه بمنزلة الاطفال الذين لايعرفون محركا لهم غير الوالدين ولايألفون الاّ ما ألفه الوالدان ومن ثم ترك المسلمون كل حول وقوّة وكل اعتماد على النفس وسعي الى الترقي ونظر في وجوه الاعتبار وأحالوا ذلك على الامراء والحكام فاذا نهضوا بهم نهضوا واذا قعدوا قعدوا بل تناهى بعضهم في ضعف قوة الارادة والتمييز لما ألفوا الخمول وأنسوا بالجهل وتنابعوا في العماية فكانوا أعداء لمن يريد من الامراء اصلاح أي شأن من شؤونهم الاجتماعية ومس أي عادة قبيحة من عوائدهم الموروثة وتاريخ الاسلام مشحون بمثل هذه الحوادث وآخر عهد بها مابسطناه فيما تقدم عن أهل المملكة المراكشية الذين يأبون كل جديد

هذه كانت نتيجة انصراف العرب أيام بداوتهم بكليتهم الى الدين وعدم وضعهم السياسة جانباً لتكون تبعا في النمو والارتقاء لترقي حال المسلمين ويدلك على خطأهم في ذلك أن الحكومات البدوية التي لم تتصبغ بصبغة الحضارة وتجاري الزمان في تقلبه والأمم الراقية في أصول حكومتها لم تزل لهذا العهد أدنى الدول الاسلامية رقيا وأهلها أكثرهم بأمور الحياة الاجتماعية جهلا كأهالي المغرب وجزيرة العرب الذين حالهم من التقهقر معروف الى اليوم

اذا تقرر هذا فقد علمت علة البلاء الذي أصاب المسلمين ومصدر شقائهم الاجتماعي الى هذا الحين ولا تظنن أمة وضعت نفسها في هذه المنزلة من الاعراض عن شؤون الدنيا وألصقت كل شيء من أمور ترقيها المدني بالدين واستسلمت لأمرائها القاهرين تلك المئات الطويلة من السنين ترضى لنفسها منزلة أرقى منها أو تلتمس وجوه العبر فتعتبر بها الاّ بعد عناء طويل تلاقيه وشقاء كثير تعانيه : والذي أعتقده أن الشقاء الآن استحكمت حلقاته والعبر ترادفت وجوهها وحسب المسلمين من ذلك

أن صاروا في أخريات الأمم وكفاهم عبرة أمة اليابان الوثنية التي نهضت للاخذ بأسباب الرقي والتقدم نهضة رجل واحد فبانت في ثلاثين سنة شأو الأمم الاوربية وناهضت دولها أعظم الدول المسيحية — هذا والمسلمون ينتزع ملكهم وتهدد بالزوال دولهم وتتحكم الدول المتمدنة فيهم وفي حكوماتهم وليس في دولهم دولة تنهض باختيارها الى تأسيس حكومة راقية تضارع بها أصغر الدول الاوربية وتدفع غارات الشعوب المتمدنة التي تنازع المسلمين البقاء بقوة العلم وسلاح المدنية وتطهير أصول الحكم من عوامل الاستبداد القاتل. وقد استعبد الاوربيون الى الآن ثلاثة أرباع المسلمين ولا يمضي ربع قرن الا والربع الباقي يصبح في حوزتهم وتدال دولته اليهم اذا استمر هذا الربع في عمايته ولج في جهالته ولم ينهض لتدبير شؤون نفسه ويترك الاعتماد على حكوماته التي تأصل فيها مرض الاستبداد الذي هو نار تأكل الممالك وتهدم صروح المجد وتذهب بقوة الامم وهم لا يشعرون

إخواني: ان الحياة مع الجهل مستحيلة والاقامة على الذل عار والبقاء أمام جيوش العلم والمدنية متعذر والسلامة مع هذا الجمود غير متأتية وما كنا عليه بالامس لا ينفعنا اليوم وما نحن فيه اليوم لم يعلمه آباؤنا الاولون ولو علموا الغيب لاستكثروا لنا من الخير ولكل عصر شأن وشأن هذا العصر ما ترون وما تسمعون من أحوال الامم الراقية والدول الدستورية وحياة الانسان غير حياة الحيوان لان الاول يطلب الترقي في كل شيء والثاني يرى الاكاة الواحدة كل شيء فاذا أردنا الحياة فحتم علينا أن نهيج نهج السابقين ونتبع خطى المسرعين، بما لا يكون فيه حرج في الدين، ولنعتقد الاعتقاد اللائق بالدين وهو انه ليس كما يقول غيرنا دين مانع من ترقي المسلمين ولنحترم جانب هذا الدين بان لا نجعله سداً في وجوهنا وغلا في أعناقنا فنؤيد بفعلنا هذا قول المستهزئين ودعوى الطاعنين ولنتقين الله في ديننا العظيم الجليل ولا نجعله سببا هلاكنا أجمعين، فنبوء بالخزي في الدارين، ونشقى في الحياتين،

هذا أوان العبر أيها المسلمون فهل أنتم معتبرون، وهذا نذير أمين فهل أنتم سامعون، موت مع الجمود، وخذلان مع السكون، وفناء عاجل مع الجهل، وخزي بين الامم مع الرضا بما وجدنا عليه الآباء، وحياة سعيدة مع الاقدام وظفر بالمطلوب مع الحركة، وبقاء مستمر مع العلم، وإيجاد حكومة دستورية مقيدة، وفخر مع الرقي الى مرتبة الكمال، فانظروا أية الحالتين ترضون، وهذا أوان العبر فهل أنتم معتبرون، والسلام على من اتبع الحق وأخذ به من المسلمين

(رفيق العظم)